

البداية والنهاية

والنفاق ومساوئ الأخلاق وإني إن كان أمركم ليهمنى قبل أن آتى إليكم ولقد كنت أدعو إني أن يبتليكم بى ولقد سقط منى البارحة سوطي الذى أؤدبكم به فاتخذت هذا مكانه وأشار إلى سيفه ثم قال وإني لآخذن صغيركم بكبيركم وحركم بعبدكم ثم لأرصعنكم رصع الحداد الحديدية والخباز العجينة فلما سمعوا كلامه جعل الحصى يتساقط من أيديهم وقيل إنه دخل الكوفة فى شهر رمضان ظهرا فأتى المسجد وصعد المنبر وهو معتجر بعمامة حمراء مثلثم بطرفها ثم قال على بالناس فظنه الناس وأصحابه من الخوارج فهموا به حتى إذا اجتمع الناس قام وكشف عن وجهه اللثام وقال ... أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفونى

ثم قال أما وإني لأحمل الشء بحمله وأحذره بنعله وأحزمه بفتله وإنى لأرى رؤسا قد أينعت وآن اقتطافها وإنى لأنظر إلى الدماء تترقرق بين العمائم واللى قد شممت عن ساقها فشمى ثم أنشد .

... هذا أوان الشد فاشتدي زيم ... قد لفها الليل بسواق حطم ... لست براعى إبل ولا غنم ... ولا بجزار على ظهر وضم ... قد لفها الليل بعصلي ... أروع خراج من الدوي ... مهاجر ليس بأعرابي

ثم قال إنى يا أهل العراق ما أغمر بغماز ولا يققع لى بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وجريت من الغاية القصوى وإن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نثر كنانته ثم عجم عيدانها عودا عودا فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مغمزا فوجهنى إليكم فأنتم طالما رتعم فى أودية الفتن وسلكتم سبيل الغى واخترتم جدد الضلال أما وإني لألحونكم لى العود ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل إنى وإني لا أعد إلا وفيت ولا أحلق إلا فريت وفايى وهذه الجماعات وقبلا وقالا وإني لتستقيمن على سبيل الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده ثم قال من وجدت بعد ثلاثة من بعث المهلب يعنى الذين كانوا قد رجعوا عنه لما سمعوا بموت بشر ابن مروان كما تقدم سفكت دمه وانتهبت ماله ثم نزل فدخل منزله ولم يزد على ذلك ويقال إنه لما صعد المنبر واجتمع الناس تحته أطال السكوت حتى أن محمد بن عمير أخذ كفا من حصى وأراد أن يحصبه بها وقال قبحه إني ما أعياه وأذمه فلما نهض الحجاج وتكلم بما تكلم به جعل الحصى يتناثر من يده وهو لا يشعر به لما يرى من فصاحته وبلاغته ويقال إنه قال فى خطبته هذه شأهت الوجوه إن إني ضرب .

مثلا قرية كانت آمنه مطمئنة يأتيا رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم إني فأذاقها إني لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وأنتم أولئك فاستووا

